مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: الاهـــــــرام

التاريخ : ١٩٧٤/٢/٢٣

لا أحـد غيرهم صـنع هذا على مدى التاريخ

٥٠ دقيقـــــة

قتال .. فى الجو !

تحقيق : عبده مباشر

١٠٠٣٩

فى الساعة الثالثة وعشرين دقيقة مساء يوم ١٤ اكتوبر بدات تشكيلات جوية كثيفة تضم نحو ٨٠ طائرة موزعة على ثلاث مجموعات تدخل المجال الجوى المصرى من ثلاثة اتجاهات : من رأس البر وجمصة وبلطيم .

كانت الطائرات تقترب على ارتفاعات منخفضة من ناحية البحر الابيض المتوسط شمالا فى اتجاه الساحل والدلتا جنوبا .. وكانت كل مجموعة تضم عدة تشكيلات تطير بفاصل زمنى بين كل تشكيل والذى يليه ..

استطاعت نقاط المراقبة بالنظر .. اكتشاف الاقتراب الجوى المعادى ، وحددت فى بلاغاتها حجم العدو الجوى واتجاهات الاقتراب ..

وكان هدف العدو — بالضرورة — قصف القواعد الجوية والمطارات فى منطقتى الساحل الشمالى والدلتا .

وكانت خطة العدو زيادة عدد الطائرات المهاجمة الى هذا العدد الكبير الذى وصل الى ٨٠ طائرة للهجوم على القواعد الجوية والمطارات الموجودة فى منطقتى الساحل الشمالى والدلتا مرة واحدة . وضمت هذه الطائرات القاذفات المقاتلة : فانتوم

وقد تصور العدو أن مقاتلاتنا ستحاول صد الهجوم ، وستشتبك معها المظلة الاسرائيلية وستتاح الفرصة لباقى القاذفات المقاتلة لتحقيق الهدف ، ليس ذلك فقط ، بل لقد كانت هناك للعدو تشكيلات جوية أخرى تضم نحو ٦٠ طائرة موزعة على مجموعتين شمال شرق وشمال غرب بورسعيد فوق مياه البحر الابيض المتوسط على ارتفاعات منخفضة ومتوسطة تتراوح بين ٥٠٠ متر ، ٣٠٠٠ متر . تنتظر نجاح الهجمة الجوية الكثيفة لتقترب من قواعدنا الجوية ومطاراتنا وأهدافنا الحيوية لقصفها . وكانت هذه التشكيلات تضم أيضا قاذفات مقاتلة من طراز فانتوم يعضها يعمل كمظلة للحماية .

ورأى المخطط الجوى الاسرائيلى ان خططه سيتحقق له النجاح ، فالمظلة

الجوية ستستطيع خلال القتال الجوى أن « تؤدب » المقاتلات الاعتراضية المصرية وستتاح الفرصة للطيارين الاسرائيليين للانتقام لضحاياهم وخسائرهم خلال الايام السابقة . وفى أثناء القتال الجوى ستتمكن القاذفات المقاتلة من قصف القواعد الجوية والمطارات . ونجاح الفانتوم فى قصف القواعد الجوية والممرات سيؤثر على سير المعركة الجوية لصالح القوات الجوية الاسرائيلية .. لان اقلاع المقاتلات المصرية أو عودتها الى قواعدها سيكون أمرا عسيرا .

هكذا تصور العدو !

ومع اقتراب تشكيلات العدو الجوية من السماء المصرية بدأت القيادة فى احدى القواعد الجوية الامامية توجيه المظلة الجوية الموجودة فى السماء بصفة مستمرة للاشتباك مع الاهداف المعادية . وفى نفس الوقت دفعت تشكيلات أخرى من درجة الاستعداد الارضى فى القواعد الجوية المنتشرة فى الدلتا لتعزيز المظلة . وبعد ٩٠ ثانية كانت هناك تشكيلات جوية تنضم الى المظلة .

المقاتلات فى انتظار الميراج والفانتوم معا

وكانت أول مقاتلات اعتراضية من طراز [ميج ٢١] تدخل اشتباكا مع العدو فى أحد تشكيلات التعزيز التى أقلعت من احدى القواعد الجوية الامامية فى منطقة شمال الدلتا .. فبعد أن تلقت الامر بالاقلاع من درجة الاستعداد الارضى ، وخرجت من الدشم الى الممرات وشقت طريقها الى السماء ، تمكنت من مفاجأة أحد تشكيلات العدو الجوية المقتربة من القاعدة .

وفورا تفرقت طائرات التشكيل المعادى ، وتخلصت من حمولتها وخزانات الوقود الاضافية ، استعدادا لخوض قتال جوى . وبدأت طائرات العدو تناور فوق المنطقة المحيطة بالقاعدة .. وبعد دقائق تمكنت مقاتلاتنا من اسقاط اول طائرة معادية خلال هذا الاشتباك ..

بعدها تمكنت باقى التشكيلات الجوية المصرية من استقبال العدو الجوى نتيجة كفاءة الموجهين الجويين .. وفى كل مرة يقترب اى تشكيل معاد كان يجد فى إنتظاره المقاتلات الاعتراضية المصرية لمنعه من تحقيق هدفه .. واتجهت باقى التشكيلات الى اتجاهات الاقتراب للاشتباك مع العدو قبل أن يصل الى مناطق الهدف ..

وانقضت مقاتلاتنا تهاجم الفانتوم والميراج معا حتى لا تتاح الفرصة للفانتوم لتنفيذ مهمتها .

وبعد الدقائق الاولى بدا واضحا أن العدو يصر على مواصلة الاشتباك بعناد . كأن يتصور انها اللحظة التى سيتمكن فيها من تأديب القوات الجوية المصرية ..

من اى مطار والى اى مطار ؟

وبدأت طائرات العدو تتساقط .. وطالت المعركة .. وامتدت منطقة القتال الجوى .. واتيحت الفرصة للمواطنين على هذا الامتداد الكبير أن يتابعوا القتال الجوى الضارى ويشاهدوا طائرات العدو وهى تسقط محترقة أو محطمة .

ونتيجة لتطور الاشتباكات بدأت القيادة التى تقود المعركة تصدر الاوامر باقلاع تشكيلات جديدة للانضمام الى القوات المشتبكة فى القتال الجوى .. وكانت القيادة تدفع بالتعزيزات طبقا لحاجة المعركة .. وتسحب التشكيلات أيضا طبقا للظروف .

والقاعدة أن أى تشكيل يوشك وقوده على النفاد يجب أن يتم اخلاؤه وعودته الى القاعدة فورا ..

وهناك متابعة مستمرة لاستهلاك وقود كل طائرة فى اثناء الاشتباك والطيران على الارتفاعات المختلفة .. ويقوم الموجهون بعملية حساب استهلاك الوقود لكل الطائرات بدقة متناهية لمعرفة موقف كل طائرة اولا بأول وابلاغ القائد به كما يتم سحب الطائرات من القتال الجوى عند نفاد ذخيرتها .

ومارست القيادة فن المناورة بالتشكيلات من القواعد والمطارات المختلفة من أجل تحقيق أكبر قدر من المرونة .. كان من الممكن لاى طائرة وأى تشكيل أن يهبط فى احدى القواعد القريبة والمناسبة طبقا لاوامر القيادة لاعادة التموين بالوقود واعادة التسليح والعودة الى الاشتباك فورا .. **ولقد كان نجاح القيادة فى أداء هذه المناورة سببا فى استمرار المظلة الجوية المصرية فى السماء بصفة مستمرة ، وبنفس القدر من الكفاءة .**

وكانت كل القواعد التى اندفعت منها التشكيلات لخوض القتال الجوى ، ومن هجوم العدو تعيش حالة من الحماس الشديد .. كانت الطائرات تعود ، فيتم اجراء الكشف عليها وتموينها بالوقود وتسليحها فى فترات زمنية قياسية لم تتحقق خلال فترات التدريب رغم كل الحوافز التى قدمتها القيادة .

ان المهندسين والفنيين استطاعوا فى أثناء المعارك أن يحققوا ما لم يحققوه أثناء التدريب . كان التشكيل يعود للاقلاع بعد فترة تتراوح بين ٦ و ٧ دقائق من لحظة هبوطه . واستطاعت القيادة أن تحتفظ بنسبة من الطائرات المقاتلة كاحتياطى مستعد للاقلاع خلال دقائق لمواجهة مواقف المعركة المتغيرة

حساب الخسائر
٤٦ مليون دولار !

ومرت الدقائق العشر الاولى . ولم تنته المعركة . وأصبحت الدقائق عشرين والمعركة مازالت مستمرة .

سقطت طائرات للعدو ومازال مستمرا فى القتال الجوى متوقعا أن تنقطع انفاس القيادة المصرية او الطيارين

واسقط المصريون للعدو خلال الاشتباك الجوى الذى استمر حتى الساعة الرابعة وعشر دقائق ، اى خلال خمسين دقيقة ، ١٧ طائرة من طراز فانتوم .. بعدها انسحب العدو من المعركة وتملص من الاشتباك وعاد فى اتجاه الشمال للعودة الى قواعده .

وعندما سألت القائد كم تساوى هذه الطائرات ؟ أخرج من حقيبته « مينى كومبيوتر » أى جانبا الكترونيا صغيرا .. وبدأ يحسب ثم قال ٤٦ مليون دولار للطائرات بمعداتها وتجهيزاتها .. هذا بخلاف الطيارين والملاحين ..

وقد حصل القائد على هذا « المينى كومبيوتر » ليستخدمه فى اجراء الحسابات المعقدة خلال المعارك الجوية التى تحتاج فيها القرارات الى السرعة .. فالثوانى قد تساوى حياة طيار وخسارة طائرة ..

واذا كانت هذه نتيجة المعركة من جانب العدو ، فاننا أيضا قد خسرنا ٦ طائرات ، ونجا كل الطيارين .

وكانت أول معركة جوية تمتد وتستمر ٥٠ دقيقة .. وهذا رقم كبير جدا اذا عرفنا أن أطول المعارك لا تزيد على ١٠ أو ١٥ دقيقة ..

ومع ذلك فانها لم تكن الاخيرة .

يوم جديد
ومحاولة جديدة

قبل أن تمضى ٢٤ ساعة على معركة الـ ٥٠ دقيقة ، عاد العدو الجوى لتكرار المحاولة التى فشلت بالامس .

عندما أشارت عقارب الساعة الى الثانية عشرة وعشر دقائق ظهر

تشكيلان للعدو ، احدهما على ارتفاع ٣ كيلومترات والثانى على ارتفاع ٤ كيلو مترات وبدأ واضحا من خط سير الاهداف المعادية على شاشة الرادار أنها تتجه لناحية احدى القواعد الامامية فى منطقة شمال الدلتا .

كان العدو يسلك نفس الطريق الذى سلكه بالامس،من اتجاه البحرالابيض.

ومثلما حشد العدو مجموعتين أخريين بالامس شمال شرق وشمال غرب بورسعيد انتظارا لنجاح التشكيلات الاولى فى تأدية مهامها ، حشد عدة تشكيلات جوية على ارتفاعات منخفضة ومتوسطة فى مجموعتين فى اتجاه رأس البر .

كذلك دفع العدو ما بين ٦٠ و ٨٠ طائرة للهجوم على القواعد الجوية التى فشل فى الهجوم عليها بالامس وكان له فى منطقة الانتظار مثل هذا العدد . وقد كانت تشكيلاته مكونة من قاذفات مقاتلة من طراز فانتوم .

وكان واضحا أن العدو لم يقتنع بفشله بالامس .. واذا كانت محاولته النيل من القوات الجوية المصرية وتأديبها لم تنجح فانه تصور انه قادر على النجاح عند تكرار المحاولة ..

وعندما يحاول العدو تكرار هجوم فاشل ، فليس فى ذلك ما يدل على أنه استطاع أن يستوعب درس الفشل ، وانما هو دليل على عناد القيادة الاسرائيلية ورفضها قبول نتائج الامس.

وللقيادة الجوية المعادية الحق فى أن تعاند وترفض ما تحقق من نتائج منذ بدء معارك العاشر من رمضان [السادس من أكتوبر] فلها التفوق العددى بالنسبة للطائرات والطيارين وطائراتها من طرز حديثة ، ولها ميزات عديدة سواء من ناحية التسليح أو المدى أو الحمولة أو السرعة أو القدرة على المناورة أو من ناحية التجهيز بالمعدات الالكترونية الحديثة التى تيسر للطيار أداء مهمته .

٥٢ طائرة مصرية فى اشتباكين

وكانت القيادة الجوية تدرك أن العدو سيخرج كل ما فى جعبته من حيل ومكر لتجاوز هزيمة الامس ، وبدأت تستعد لمواجهة كل الاحتمالات .

وعندما وجدت القيادة أن العدو بدأ يخترق المجال الجوى المصرى وجهت طائرات المظلة للاشتباك معه ، وبدأت نقاط المراقبة بالنظر تذيع عن اقتراب مجموعتين آخريين على ارتفاع منخفض من اتجاه رأس البر وبلطيم . ودفعت القيادة بتعزيزات جديدة لصدها .

وانضمت المجموعتان الجديدتان الى المجموعتين السابقتين ودار القتال الجوى فى منطقتين وكان للعدو فى كل منطقة ما بين ٣٠ و ٤٠ طائرة .

ونتيجة لتطور القتال دفعت القيادة بتعزيزات جديدة حتى وصل عدد طائراتنا المقاتلة الاعتراضية الى ٥٢ .

وبعد الدقائق الاولى للمعركة بدا واضحا أن طائرات العدو تحاول التخلص من الاشتباك .. فقد أيقن طيارو العدو انهم سيواجهون نفس النتيجة التى انتهت اليها معركة الامس .

ربما تصوروا أنهم سيتمكنون من مفاجأة القوات الجوية ، لو عاودوا الهجوم مرة أخرى قبل مضى ٢٤ ساعة ربما تصوروا أنهم قادرون على ضرب الطائرات المقاتلة الاعتراضية خلال الدقائق الاولى للهجوم والتخلص منها ، واتاحة الفرصة للقاذفات المقاتلة لتنفيذ مهمتها ولكن لما مضت الدقائق الاولى دون أن يستطيعوا ضرب المقاتلات الاعتراضية بل واكتشفوا أن القيادة التى تتحمل مسئولية المعركة قد دفعت بهذه الاعداد الكبيرة لصد الهجوم ، وكان معنى

هذا واضحا بالنسبة لهم .. كأنهم حاولوا التخلص من الاشتباك ..

وهنـاك بدأ الطيـارون المصريون يمنعـونهم من تحقيق بغيتهم .. لم يكتفوا بنجاحهم فى الهجوم المعادى وهذا وحده دورهم ، بل اصروا على استمرار الاشتباك .. انهم لايريدون للعدو أن يتخلص من هذا القتال .

وبدأ كل طيار برغم طيارا معاديا على خوض قتال جوى . وبدأت التشكيلات المصرية ككل تعمل على منع العدو من الاتجاه شمالا ناحية البحر المتوسط .

ومارست القيادة دورهـا ، تابعت القتال ، ودفعت بالتعزيزات ، وأصدرت أوامرها .. ناورت بالتشكيلات الجوية فى القواعد الجوية والمطارات المختلفة الموجودة فى المنطقة والمناطق المجاورة واحتفظت باحتياطى مستعد للاقلاع وحقق المهندسون والفنيون والميكانيكيون الجويون أكثر مما توقعوه . ونجح الموجهون الجويون فى توجيه مقاتلاتنا

وشهدت المنطقتان ، مسرح القتال الجوى ، كل أنواع المناورات التى يمكن أن يقوم بها طيار . مناورات راسية وأفقية .. المتابعة .. الدوران لليمين واليسار .. مناورات تحسين الوضع .. محاولة وضع الطيار المعادى فى الوضع المناسب .. الطيران على الارتفاعات المختلفة .. والتسلق ، محاولة احباط هجمة معادية والانقلاب للهجوم على العدو . محاولات ناجحة للهجوم وضغطه على زر اطلاق النيران وبعدها تنفجر طائرة معادية وتسقط حطاما . واتيحت الفرصة للطيارين المصريين لكى يحققوا أرقاما قياسية فى اسقاط طائرات العدو . وقـد **استطاع بعض الطيارين أن يسقطوا ثلاث طائرات للعدو خلال هذين الاشتباكين**

وبعد ٤٥ دقيقة انتهى الاشـتباك وخسر العدو فى هذه المعركة ٧ طائرات من طراز فانتـوم وخسرت قواتنـا الجوية طائرة واحدة □